فلسفة التاريخ

فلسفة التاريخ هي فرع من فروع الفلسفة ، تهتم بمنحى التاريخ و مآل البشرية . و عبارة فلسفة التاريخ تنتمي الى القاموس الفرنسي philisophie de l’histoire و أول من استعملها هو المفكر الفرنسي فولتير (1694-1778م) في كتاب فلسفة التاريخ ثم راج فيما بعد هذا المفهوم في الفلسفة الالمانية و خاصة مع الفيلسوف هيغل (1770-1831م) و يمكن التمييز في فلسفة التاريخ بين تيارين كبيرين ، تيار أو مدرسة ينفي حتمية التاريخ و هو تيار يقول بالصدفة و التطورات غير المتوقعة أما التيار الثاني فيرى ان التاريخ يخضع لقوى محددة .

يرى الفيلسوف الالماني شوبنهاور (1788-1860م) أن التاريخ لا يخضع لمنطق محدد فالتاريخ هو ثمرة الصدفة و اللامتوقع فشوبنهاور ينفي ايضا علمية التاريخ اي يزيل عن التاريخ صفة العلمية كمادة معرفية ، ذلك ان دوره ينحصر في ترتيب الاحداث بينما يتجلى دور العلم في الربط بين المسببات و توليد النتائج و يرى شوبنهاور ان الانسان لا يتطور بالقياس الى دوافع ثابتة .

أما الاتجاه الثاني فيستند الى فكرة Téléologie تيليولوجيا ومعناه ذلك العلم الذي يهتم بالنهايات او بالمآلات البشرية و اصحاب هذا التيار يرون أن العالم هو نسق من العلائق بين الوسائل و الغايات ( التاريخ يسير نحو غاية معينة) فهذا التيار يستند إذن الى غائية . و إذا رجعنا الى التاريخ القديم و خاصة الى الفيلسوف ارسطو في كتابه " الاخلاق" كان قد تصور التاريخ ضمن فكرة " talos  "

( النتيجة النهائية ) و بعد ارسطو يمكن الحديث عن الفلسفة الوسيطية و خاصة فلسفة سانت اوغسطين saint augustin : التاريخ هو تجسيد لارادة الله.

و بالنسبة للاسلام ايضا يسجل نفس الفكرة ، كون ان اتجاه التاريخ البشري يرتبط بظهور الاسلام الذي يشكل انتقالا من مرحلة الى مرحلة اخرى اي مرحلة " الجهل او الجاهلية" اي مرحلة الوثنية الى مرحلة النور اي مرحلة اعتناق الاسلام و انتشاره في كل المعمور و بذلك في نظر المؤرخين و الفلاسفة المسلمين اتجاه التاريخ هو اتجاه للاسلام و نهاية هذا التاريخ هي نهاية عظمى مرتبطة بخلاص الآخرة .

هذا بالنسبة للتفكير الوسيطي المسيحي و الاسلامي ، اما ابتداء من عصر النهضة باوربا و لا سيما عصر الانوار ، بدأت تتغير الافكار و تتفتح على العقل و تتحرر مما يقوله الدين و قد ارتبطت هذه الحركية الفكرية بثلاث محددات اساسية: أولا : التقدم ، الانهيار ، التراجع.

في مرحلة الانوار هذه ( القرن الثامن عشر ) كان قد حصل نوع من التفاوت أو التباين بين المدرسة الفرنسية من جهة و المدرسة الالمانية من جهة ثانية . فخلال هذا القرن كان قد ظهر في فرنسا مجموعة من المفكرين و الفلاسفة منهم فولتير و ديدرو و كانت افكارهم عقلانية بالدرجة الاولى تستند الى ما هو مادي اما في المانيا فقد ظهر فلاسفة كرسوا جهودهم الفكرية للفلسفة الصرفة .

و من أقطاب هذه الفلسفة الالمانية الصرفة ايمانويل كانط ( 1724-1804م) في كتابة فكرة التاريخ الكوني يرى ايمانويل كانط ان تاريخ البشرية هو تاريخ وضع بشري يتحسن بصفة تدريجية ( من لا شيء الى كل شيء) و قد حصل هذا التطور عبر مجموعة من العناصر اهمها اولا التفكير اي قدرة الانسان في مراحل معينة من التاريخ على استخدام العقل و التفكير في قضاياه اليومية و في المحيط الطبيعي الذي يعيش فيه .

الجانب الثاني : القانون . و في نظر ايمانويل كانط يعد القانون عاملا اساسيا في التطور الذي حصل في تاريخ البشرية فقد تمكن الانسان على مر التاريخ من وضع مجموعة من التشريعات استطاع من خلالها الانتقال من وضع الفوضى الى وضع النظام .

النقطة الثالثة : الانفتاح على الاخر ، و بعبارة اخرى "التواصل" و معنى ذلك ان الجماعات البشرية كان بامكانها ان تحقق تقدما ملموسا في حياتها الاجتماعية و التقنية بفضل الاحتكاك مع جماعات بشرية اخرى و هذا العامل الاساسي هو الذي يسميه المؤرخون بالتأثير الحضاري المتبادل .

هذه الامور هي التي تلخص ما يسميه ايمانويل كانط بالمغامرة البشرية و في هذه المغامرة يكون الانسان تارة فاعلا بشكل واع و تارة اخرى يكون فاعلا بشكل غير واع .

المثالية التاريخية

من النظريات الاساسية التي يمكن ذكرها بخصوص فهم التاريخ من الناحية الفلسفية المثالية التاريخية كما يجسدها الفيلسوف الالماني هيغل و التي ترى بأن التاريخ هو تتويج للعقل و تحقيق تدريجي للافكار و الافكار الكونية .

Georg wilhem friedirich hegel (1770-1831) . هيغل فيلسوف ألماني انتاجه الفكري لاحق على على فلسفة كانط و هو يعد من ابرز الفلاسفة المثاليين و قد كان اثره قويا جدا على الفلسفة المعاصرة .

نشأ هيغل في عائلة بروتستانتية ، كان ابوه محاسبا و كانت امه تنتمي لعائلة من رجال القانون . تعلم في صغره اللغة الاغريقية و هذا ما مكنه من الاطلاع على كتب الفلاسفة الاغريق كأرسطو و أقلاطون و سقراط بلغتها الاصلية و بالاضافة الى اللغتين اللاتينية و الاغريقية تعلم هيغل في الصغر الرياضيات و الهندسة و من جهة ثانية استطاع هيغل في شبابه ان يقرأ كتب فلاسفة الانوار الفرنسيين ( في ق 18)

مرحلة التكوين : ( 1788-1793 )

في سن الثامنة عشرة اهتم هيغل بالتاريخ و في هذه السنة 1788م استطاع هيغل ان يؤلف كتابا في الفلسفة تحت عنوان " مزايا قراءة الفلاسفة الاغريق " و في سنة 1790م الف كتابا آخر و هو في الاصل بحث في الاجازة تحت عنوان " العقل " ناقش فيه افكار الفيلسوف كانط . و بعد ذلك تابع هيغل دراسته العليا و تعمق في تاريخ الفلسفة و خاصة فلسفة افلاطون و فلسفة سبينوزا و فلسفة كانط . و معلوم أن هيغل في هذه المرحلة في حياته ( مرحلة التكوين) كان يعبر عن اعجابه بفكر الانوار و بالثورة الفرنسية حيث كان يتحدث كثيرا في الجامعة التي درس فيها عن مبدأي الحرية و المساواة ( المدنية ) علما انه كان معجبا بجون جاك روسو و تحديدا بكتابه " التعاقد الاجتماعي" و نجد لهذا التأثير الفرنسي صدى في كتابات هيغل و خاصة في كتابه " محاضرات في فلسفة التاريخ" ففي هذا الكتاب نعت هيغل الثورة الفرنسية ب " شروق الشمس " اذ اعتبرها تجسيدا لفكر الانوار الذي حمل مبادئ العقل و الحرية و المساواة المدنية و انهى هيغل مشواره الجامعي 1793م ببحث حول " تاريخ الكنيسة " يرى فيه ان المسيح رجل فاضل علم الناس الفضيلة و لا وجود في حياة المسيح لمعجزة او لأمور خارقة.

2- مرحلة المخاض الفكري :

و نميز فيها من فترات : اهمها فترتان اساسيتان :

فترة السرية : بمدينة بيرن و قد استمرت هذه المرحلة من 1793الى 1797 خلال هذه الفترة كتب هيغل مجموعة من الرسائل و المقالات تحت اسم مستعار وقف فيها الى جانب الحركات الثورية التي كانت تشتعل من حين لآخر في المانيا و في اوربا و التي كانت تدعمها فرنسا في عهد نابليون .

فترة الاشتغال العلني : 1797-1800م: في فرانكفورت عقد هيغل علاقات وطيدة مع الفيلسوف فيشتة fichteen و مع السياسي الثوري اسحاق فون سانكلير isaac von sanclair و الجدير بالذكر ان هيغل ركز في هذه المرحلة من الناحية الفكرية على نقد الدين و من الناحية السياسية ناضل هيغل من اجل انتخاب القضاة من طرف الشعب و في سنة 1799م حصل هيغل على منصب استاذ مساعد بجامعة شتوتغارت .

فترة النضج : سنة 1801م انتقل هيغل بعدما ناقش اطروحته الجامعية حول دوران الكواكب للعمل في جامعة inea إينيا رفقة الفيلسوف الكبير شيلينغ cheeling .

في هذه المرحلة و لاسيما في سنة 1802م أسس هيغل رفقة شيلينغ رفيقه و استاذه مجلة فلسفية هامة هي مجلة النقد الفلسفي و في هذه المرحلة ايضا انتقل هيغل من الناحية الفكرية و بشكل واضح من نقد الدين الى نقد السياسة حيث كتب عن الدستور الالماني معتبرا ان الدولة في المانيا لم ترق بعد الى مستوى الدولة في فرنسا حيث كان يبدي اعجابا كبيرا في كتاباته بنابليون .

يقول :" لقد رأيت الامبراطور نابليون ، انه لاحساس عجيب ان ترى شخصا تمتد سلطته على العالم ".

و في هذه المرحلة أيضا سنة 1804م اصدر هيغل كتابه " فينومولوجيا العقل " phenomelogie de l’esprit . هذا الكتاب هو كتاب نظري صعب جدا لم يتمكن الفلاسفة من فهمه فهما عميقا الا في القرن العشرين و يهم هذا الكتاب دراسة الوعي البشري و بعبارة اخرى يهم دراسة حركة المعرفة او نشاط المعرفة اذ يعتبر هيغل ان جوهر الانسان هو التفكير .

في سنة 1818م التحق هيغل بجامعة برلين و في هذه الجامعة كتب هيغل كتابه الشهير " مبادئ فلسفة الحق " principes de la philosophie سنة 1821م الذي عرض فيه نظريته السياسية المحددة للعلاقة بين الدولة و المجتمع . يقول كل ما هو عقلاني فهو واقعي و كل ما هو واقعي فهو عقلاني . اذ يبرر هيمنة الدولة على المجتمع .

و في حقيقة الامر كان هيغل في هذه الفكرة يبرر هيمنة الدولة على المجتمع و هذا الكتاب كان قد حظي باقبال جمهوري واسع من القراء و ضمن لهيغل شهرة كبيرة في المانيا ثم امتدت عن طريق هذا الكتاب شهرة هيغل خارج ألمانيا فأعطى محاضرات في هولندا سنة 1822م و في النمسا سنة 1824م و في فرنسا سنة 1827م التي كان يعتبرها عاصمة العالم المتحضر . و يمكن القول ايضا انه يغل اكد حضوره في فلسفته في اوربا الى جانب كتابه هذا "فلسفة الحق" بسلسلة من الدروس و المحاضرات كان قد اعطاها في مختلف الجامعات الالمانية ما بين 1805م-1829م و هذه المحاضرات نشرت بعد وفاته تحت عنوان " محاضرات في فلسفة التاريخ " سنة 1832م و في سنة 1829م كان هيغل قد اصبح رئيسا لجامعة برلين و عند وفاته سنة 1831م نشرت صحيفة شتوتغارت قولة مأخوذة من كتابه " فلسفة الحق " : " تغيير العالم على النحو الذي يتلائم مع مفهوم الحرية هذه هي مهمة العصر الحديث "

فلسفة هيغل : يرى الفلاسفة المهتمون بتاريخ الفلسفة ان فلسفة هيغل هي فلسفة منسقة تقوم على نسق متجانس يدور حول اشكالية العقل . لقد بلور هيغل افكاره حول مفهوم الجدلية dialectique انتقل بها من طريقة التفكير كما كان سائدا من قبل منذ الاغريق الى حركة للفكر بعلاقته بالوجود ، فالجدلية بالنسبة لهيغل هي في نفس الوقت مفهوم و مبدأ للادراك تتحكم في سير العالم . و تتضح هذه الجدلية فيما يلي :

* الطريحة الطرح thèse
* النقيضة الطرح المضاد antithèse
* الشميلة التركيب synthèse

و في نظر هيغل الجدلية هي تاريخ التضاد /التعارض و هذا التضاد أو التعارض هو في الاصل تضاد في الافكار . هذا التضاد هو الذي يولد التطور و هذا التطور يتجسد في العقل من خلال سلسلة من الاشكال التعبيرية أهمها :

1. الدين
2. الفلسفة
3. الفن

و في نظر هيغل فهم التطور التاريخي هو فهم حركة الفكر هذه .

و في نظر هيغل لا يكتسب العقل قيمة الا عندما تجسده الدولة و يقوم هيغل نموذجا كبيرا يرتبط بتاريخ فرنسا و يتعلق الامر بالدولة القوية التي كونها نابليون و لذلك يقول هيغل بان التاريخ يتجسد في الدولة و ان الدولة هي نابليون .

**المادية التاريخية**

كارل هاينريش ماركس karl heinrich marx

1883-1818م

كارل ماركس هو فيلسوف و مؤرخ و عالم اقتصاد و صحفي و كاتب ، ماركس هو صاحب التصور المادي للتاريخ و هو اول عالم اقتصاد تمكن من تفكيك آليات النظام الراسمالي و قد خلفت افكار كارل ماركس و اعماله تاثيرا كبيرا في مجال العلوم الانسانية و خاصة الفلسفة و علم الاجتماع و الاقتصاد و التاريخ .

حياته و اعماله :

نشأ كارل ماركس في وسط اجتماعي بورجوازي من اب يشتغل في مجال القانون (محام) تربى بدوره في عائلة تجارية و امه كانت سيدة بورجوازية من اصل هولندي تنتمي الى اسرة فيليبس . درس ماركس القانون بجامعة بون ثم درس الفلسفة بجامعة برلين .

انهى ماركس دراساته الجامعية بانجاز بحث حول الفلسفة الاغريقية سنة 1841م (فلسفة ابيقور) تأثر كارل ماركس من الناحية الفكرية بتيارين فلسفيين كبيرين هما فلسفة هيغل او الجدلية و فلسفة فيورباخ او المادية .

في مدينة برلين التحق كارل ماركس بمجموعة من الفلاسفة و السياسيين و هي مجموعة تعرف بالهيغليين اليساريين و تعرف أيضا بمجموعة الهيغليين الشباب .و الملاحظ ان افكاره الثورية منعته من الالتحاق بالجامعة لاجل التدريس عقب حصوله على شهادة جامعية سنة 1841م فالتجأ الى العمل الصحفي فأسس رفقة بعض الهيغليين اليساريين و في طليعتهم برونو بوير bruno bauer و موزز هس moses hess صحيفة يسارية معارضة لنظام الحكم في المانيا دافعت عن حرية التعبير و هذه الصحيفة هي : راينيش زايتونك (الصحيفة الرينانية ) كانت هذه الصحيفة تنشر تحقيقات صحافية حول ظروف العمل لدى العمال ( الطبقة العاملة /البروليتاريا ) و تندد بحالة البؤس التي كان يعيشها العمال و تطالب باحترام انسانية هؤلاء العمال و منحهم ما يلزم من الحقوق و هذه المواقف اليسارية هي التي دفعت الحكومة الالمانية الى منع هذه الصحيفة .

اللقاء بإنجلز :

بعد منع الصحيفة الرينانية ، غادر ماركس ألمانيا و استقر بباريس و في هذه المدينة اصدر صحيفة جديدة و هي صحيفة ثورية موجهة الى المانيا حيث كانت توزع بطريقة سرية و الجدير بالاشارة انه خلال هذه المرحلة من العمل الصحفي كان ماركس يردد قولة اصبحت مشهورة فيما بعد و هي " دور الصحافة يكمن في تفكيك النظام السياسي " .

في باريس إلتقى كارل ماركس بانجلز سنة 1844م حيث بدأت بينهما صداقة عميقة قامت على اساس العمل المشترك فكريا و ثوريا ، إذ ألفا معا عددا من الكتب التي ظلت تشكل مراجع أساسية في الفلسفة و الاقتصاد و السياسة . و من أهم الكتب التي ألفاها على نحو مشترك كتاب " الإيديولوجيا الالمانية " 1846م . في هذا الكتاب وجه كارل ماركس و فريديرك انجلز اتقادات لاذعة للمفكرين الالمان سواء المثاليين او الماديين و خاصة هيغل و فكرته الجدلية المثالية و فيورباخ و فكرته المادية الصرفة . لكن ما يثير الانتباه في هذا الكتاب الذي ظهرت فيه المادية التاريخية على نحو واضح هو نزعته الثورية و يتجلى ذلك في قولة شهيرة وردت فيه " الى حد الان لم يعمل الفلاسفة الا على تفسير العالم بمختلف الاشكال اما اليوم فالمهم هو تغيير هذا العالم " .

في باريس دخل ماركس في نقاش مع الفلاسفة الفرنسيين و خاصة جوزيف برودون . كان جوريف برودون قد كتب كتابا تحت عنوان فلسفة البؤس يتحدث فيه عن تناقضات النظام الراسمالي فانتقده ماركس بتاليف كتاب تحت عنوان " بؤس الفلسفة" 1847م . يقول " في فرنسا يمكن لجوزيف برودون ان يكون اقتصاديا متواضعا لانه يظهر كفيلسوف ماهر اما في المانيا فيمكن للمرئ ان يكون فيلسوفا عاديا لانه يقدم نفسه كاقتصادي ماهر اما نحن فلا نقبل بهذه الازدواجية الهجينة فنحن نجمع بين الفلسفة و الاقتصاد على النحو اللائق " ثم يضيف " الفلسفة عليها ان تتحول الى سلاح فكري لتغيير الاقتصاد " لقد جلبت هذه الافكار الثورية الكثير من المشاكل لكارل ماركس ، فقد طاردته السلطات الفرنسية سنة 1845م ، فالتجأ الى بروكسيل و هناك تحول منزله الى مقر يجمع كل الثوريين الاوربيين الراغبين في مناهضة النظام البورجوازي الراسمالي فاسس " عصبة الشيوعيين" التي الهمته تاليف كتابه الشهير بالتعاون مع فريديرك انجلز " بيان الحزب الشيوعي " 1848م .

في واقع الامر الكتاب الفه ماركس و انجلز بناء على وصية من عصبة الشيوعيين ، فالعبارة الشهيرة التي جاءت في الكتاب " يا عمال العالم اتحدوا " كانت قد تبنتها هذه العصبة قبل ظهور هذا الكتاب .

لقد مثل هذا الكتاب قطيعة مع افكار الاشتراكية الفرنسية الطوباوية المعتدلة التي تميل الى التعاضد mutualité اكثر مما تميل الى التغيير الجذري . يبدأ هذا الكتاب بصراع الطبقات حيث يقابل ماركس بين المستغلين (بكسر الغين) و المستغلين (بفتح الغين) . يقول " تاريخ كل مجتمع هو تاريخ الصراع بين الطبقات و بعد تحليله لتاريخ الهيمنة البورجوازية على العالم التي بدأت منذ القرن السادس عشر مع الكشوفات الجغرافية و اتساع المبادلات التجارية العالمية و نشأة الراسمالية يقول :" الى حد الان كل التحولات التاريخية التي حصلت كان من ورائها اقلية من الناس او لفائدة هذه الاقلية اما اليوم فالتحول سيكون من صنع الاغلبية و هذه الاغلبية هي البروليتاريا ".

و من اهم الكتب التي اصدرها كارل ماركس :

" رأسمال " : انتقل كارل ماركس الى انجلترا و استقر بمدينة لندن و هناك وقف عن كثب على ظروف الاستغلال الراسمالي الذي كانت تمارسه البورجوازية على الطبقة العاملة و هناك ايضا الف كتابه الشهير بعد عشرين عاما من البحث و التفكير ألا و هو " رأسمال " و شرح آليات اشتغال هذا النظام كما انه يتضمن عمقا تاريخيا لانه بين تاريخ الرأسمالية من القرن 16 الى القرن 19 . و لم يتمكن كارل ماركس من اتمام هذا المشروع الضخم الذي جعل منه عالما في الاقتصاد و مرجعا اساسيا بالنسبة لكل الباحثين في الاقتصاد و بعد وفاته سنة 1883م اهتم رفيقه انجلز بمسودات راسمال و اصدر المجلدين الثاني و الثالث عامي 1885 و 1894 م ( كتاب صعب كتب عنه لويس ألتوسير كتاب "قراءة رأسمال").

لقد أوقف ماركس فلسفة هيغل عللى قدميها معتبرا ان المادة هي الاصل و ان الفكرة تابع للمادة ، و قد خلص في فلسفته الى التمييز بين بنية تحتية infrastructure اي الوجود اي الواقع الاجتماعي و بنية فوقية superstructure و تتمثل في كل اشكال التعبير الفكري :( الافكار ، المعتقدات الدينية ، القانون ، السياسة ، الفن ، الادب ، الفلسفة ...) لكن مادية كارل ماركس ليست مادية طبيعية بل هي فلسفة مادية اجتماعية ، هي التي تمكن من فهم " الانسان " او العلاقات الاجتماعية .

و بالنسبة لكارل ماركس لا توجد طبيعة بشرية بل توجد بالاحرى شروط بشرية و معنى ذلك ان الانسان او الفرد تحديدا هو نتاج علاقات اجتماعية معينة .

بالنسبة لكارل ماركس الجدلية (الديالكتيك) هي منهج يمكن من تحليل علاقات التناقض بين القوى الاجتماعية في مرحلة تاريخية معينة و هذا التحليل الجدلي هو الذي نستطيع من خلاله فهم حركة التاريخ ، ففي حركة التاريخ هذه الواقع الاجتماعي(البنية التحتية) هو الذي يحدد الوعي الاجتماعي (البنية الفوقية) .

يستعمل ماركس مفاهيم قوى الانتاج :

These قوى الانتاج : وسائل الانتاج +قوة العمل (اليد العاملة)

Antithese علاقات الانتاج : الطبقة السائدة

Synthese نمط الانتاج : شكل الانتاج : راسمالي او اقطاعي ..

و يري ماركس ان التناقض و الصراع بين قوى الانتاج و علاقات الانتاج هو الذي يولد نمطا انتاجيا جديدا فالبورجوازية مثلا نشأت من رحم النظام الفيودالي و دخلت في صراع مع طبقة النبلاء و تمكنت من ازاحتها فغيرت طبيعة العلاقات الاجتماعية و الايديولوجيا السائدة و طورت العلوم و التقنيات ثم ان النظام البورجوازي افرز قوى انتاج جديدة ( الالة : مصانع ...و العمال بدلا من الاقنان ) و طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة البروليتاريا اي الطبقة الاجتماعية التي لا تملك سوى قوة عملها و يرى كارل ماركس ان قوة البروليتاريا الاجتماعية تؤهلها لتجاوز النظام الراسمالي و خلق نظام او نمط انتاجي جديد هو نمط الانتاج الاشتراكي . و يخلص ماركس الى القول بان تاريخ البشرية تتابعت فيه انماط انتاج ذات صلة بتقنيات و علاقات انتاج محدودة و هي : المشاعية البدائية – المجتمع العبودي – المجتمع الفيودالي – المجتمع الراسمالي – المجتمع الاشتراكي.